

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيذبحون احسنه اولئك الذين هداهم
الله واوالتك هم اولو الاباب

المصباح

يؤمن الحكمة من بقاء ومن يوت
الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما
يذكر الا اولو الاباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوتى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة شوال سنة ١٣١٨ - ٢١ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠١)

كتب المغازي واحاديث القصاصين^(١)

لفضيلة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية

سألنى سائل عن الرأي فى ما يوجد بايدى الناس من كتب الفزوات
الاسلامية واخبار الفتوح الاولى وعمما حشيت به تلك الكتب من اقوال
واعمال تنسب الى النبى صلى الله عليه وسلم والى كبار اصحابه رضى الله عنهم
وهل يصح الاعتماد على شىء منها ثم خص فى السؤال كتاب الشيخ
الواقدى الموضوع فى فتوح الشام وذاكر لى ان بعضاً من معرودة هذه
الأيام المعتدين على مقام التصنيف قد جعلوا هذا الكتاب عمدة نقلهم
ومثابة يرجعون اليها فى روايتهم ليتخذوا منه حجة على ما يروجونه من
تشويه سيرة المسلمين الاولين وليسلكوا منه سبيلاً الى اذاعة المثالب
ونشر المعاييب

(١) نشرت هذه المقالة فى جريدة تمرات الفنون الغراء منذ ١٥ سنة عند ما كان
الاستاذ فى بيروت . واعادت نشرها فى العدد ١٣١٣ الصادر فى ٩ من رمضان هذا

وان بعضاً آخر من ضعفة العقول من المسلمين ظنوا هذا الكتاب من انفس ما ذكر الاولون الآخريين وانه جدير ان يحرز في خزائن الكتب السياسية وحقيق ان ينقل من اللغة العربية الى غيرها من اللغات فاجبت السائل بمجواب احببت لو ينشر على ظن ان تكون فيه ذكرى لمن يتذكر لم يرزاً الاسلام باعظم مما ابتدعه المنتسبون اليه . وما احده الفلاة من المقتربات عليه . فذلك مما جلب الفساد على عقول المسلمين . واساء ظنون غيرهم فيما نبى عليه الدين . وقد فشت للكذب فاشية على الدين الحمدي في قرونه الاولى حتى عرف ذلك في عهد الصحابة رضى الله عنهم بل عهد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته حتى خطب في الناس قائلاً : ايها الناس قد كثرت على الكذابة الا من كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار او كما قال

الا ان عموم البلوى بالكاذب حق على الناس بلاؤه في دولة الامويين فكثير الناقلون وقل الصادقون وامتنع كثير من اجلة الصحابة عن الحديث الا لمن يثقون بحفظه خوفاً من التبريف فيما يؤخذ عنهم حتى سئل عبد الله ابن عباس رضى الله عنه لم لا تحدث فقال لكثرة المحدثين . وروى عنه الامام مسلم في مقدمة صحيحة انه قال : ما رأيت اهل الخير في شيء اكذب منهم في الحديث . ثم اتسع شر الاقتراء وتفاقم خطب الاختلاق وامتد بامتداد الزمان الى ان نهض ائمة الدين من المحدثين والعلماء العاملين ووضعوا للحديث اصولاً وشرطوا في صحة الرواية شروطاً وبينوا درجات الرواة وواصفهم ومن يوثق به ومن لا يوثق به منهم وصار ذلك فأنم اهم القنون سموه فن الاستناد واتبعوه بفن آخر سموه فن مصطلح الحديث فامتاز بذلك

الصحيح من الفاسد وامتاز الحق من الباطل وعرفت الكتب الموثوق بها من غيرها وثبت علم ذلك عند كل ذي إمام بالديانة الاسلامية وقد روي عن الامام مالك رضى الله عنه انه كان قد كتب كتابه الموطأ حاوياً اربعة عشر الف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع حديث « قد كثرت علي الكذابة فطابقوا بين كلامي والقرآن فانت واقفه والأ فاطر حوه » عاد الى تحرير كتابه فلم يثبت له من الاربعة عشر الفاً أكثر من الف . ومن راجع مقدمة الامام مسلم علم مالحقه من التعب والعناء في تصنيف صحيحه واطلع على ما ادخله الدخلاء في الدين وليس منه في شيء لم يخف على اهل النظر في التاريخ ان الدين الاسلامي غشى ابصار العالم بلامع القوة . وعلا رؤوس الامم بسطان السطوة . وفاض في الناس فيضان السيول المنحدرة . ولاحت لهم فيه رغبات . وتمثلت لهم منه مرهبات . وقامت لأولى الالباب عليه آيات بينات . فكان الداخلون في الدين على هذه الاقسام قوم اعتقدوا به ادعائاً لحجته واستضاءة بنوره واولئك الصادقون وقوم من ملل مختلفة اتحلوا لقبه واتسموا بسمته اما الرغبة في مفاعمه او لرهبة من سطوات اهله او لتمزز بالانتساب اليه فتدثروا بدثاره لكنهم لم يستشعروا بشعاره . لبسوا الاسلام على ظواهر احوالهم الا انه لم يمس أعشار قلوبهم فهم كانوا على ادیانهم في بواطنهم ويضارعون المسلمين في ظواهرهم وقد قال الله في قوم من اشباههم : قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم فمن هؤلاء من كان يبالغ في الرياء حتى يظن الناس انه من الاتقياء فاذا احس من قوم ثقة بقوله اخذ يروي لهم احاديث دينه القديم مسنداً

لها الى النبي صلى الله عليه وسلم او بعض اصحابه ولهذا ترى جميع الاسرائيليات وما حوته شروح التوراة قد نقل الى الكتب الاسلامية على انه احاديث نبوية الا ان ائمة الدين عرفوا ذلك فنصوا على عدم صحتها ونهوا عن النظر فيها . ومنهم من تعمد وضع الاحاديث التي لو رسخت ممانيتها في العقول افسدت الاخلاق وحملت على التهاون بالاعمال الشرعية وقدرت الهمم عن الانتصار للحق كالأحاديث الدالة على انقضاء عمر الاسلام (والعياذ بالله) او المطمئة في عفو الله مع الانحراف عن شرعه او الحاملة على التسليم للمقدر بترك العمل فيما يصلح الدين والدنيا كل ذلك يضعه الواضعون قصداً لافساد المسلمين وتحويلهم عن اصول دينهم ليختل نظمهم ويضعف حولهم

ومن الكاذبين قوم ظنوا ان التزيد في الاخبار والاكثر من القول يرفع من شأن الدين فهذروا بما شاؤوا يتبعون بذلك الأجر والثواب ولن ينالهم الا الوزر والعقاب وهم الذين قال فيهم ابن عباس : ما رأيت اهل الخير في شيء اكذب منهم في الحديث ويريد باهل الخير اولئك الذين يطيلون سبالمهم ويوسعون سربالمهم ويطأطئون رؤوسهم ويحقتون من اصواتهم وينفدون ويروحون الى المساجد باشباحهم وهم ابعد الناس عنها بارواحهم يحركون بالذكر شفاههم ويلحقون بها في الحركة سبحهم ولكنهم - كما قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب - : منقادون لجملة الحق لا بصيرة لهم في احثائه يتفدح الشك في قلوبهم لاول عارض من شبهه جعلوا الدين من اقفال البصيرة ومغاليتي العقل فهم اغرار مرحومون يسيئون ويحسبون انهم يحسنون . فهو لاء قد يخيل لهم الظلم عدلاً والغدر فضلاً فيرون ان نسبة ما يظنون الى اصحاب النبي مما يزيد في فضلهم ويعلى من النفوس منزلتهم فيصح

فيهم ما قيل «عدو عاقل خير من محب جاهل» ومن هؤلاء وُضِعَ كتب
المغازي والفتوح وما شاكلها

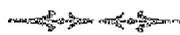
اما الشيخ الواقدي فكان من علماء الدولة العباسية ولاء المأمون القضاء
في عسكر المهدي وكان تولى القضاء في شرقي بغداد . قال ابن خلكان :
وضمفوه في الحديث وتكلموا فيه . اه . اي عدوه ضميم الرواية ليس
من اهل الثقة ولهذا نص الامام الربلي من علماء الشافعية على انه لا يؤخذ
بزوايته في المغازي فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود في ايدي الناس
من تصنيفه فهذه منزلته من الضعف عند علماء المسلمين على اني لو حكمت
بانه مكذوب عليه محتجج النسبة اليه لم اكن مخطئاً

وذلك لأن الواقدي كان من اهل المائة الثانية بعد الهجرة وكان من
العلم بحيث يعرفه مثل المأمون ابن هارون الرشيد ويواصله ويكتبه
وضاحب هذه المنزلة في تلك القرون اذا نطق في العربية فانما ينطق بلهجاتها
وقد كانت اللغة لتلك الاجيال على المعهود فيها من متانة التأليف وجزالة
اللفظ وبداعة التعبير والناظر في كتاب الواقدي ينكشف له بأول النظر
ان عبارته من صناعات المتأخرين في اساليبها وما ينقل فيها من كلام الصحابة
مثل خالد بن الوليد وابي عبيدة وغيرهم رضى الله عنهم لا ينطبق على
مذاهبهم في النطق بل كلما دقق المطالع في احناء قوله يجد اسلوبه من اساليب
القصاصين في الديار المصرية من ابناء المائة الثامنة والتاسعة ولا يرى عليه
لهجة المدنيين ولا العراقيين والرجل كان مدني المنبت عمراقي المقام ولولا
خوف التطويل لأُتيت بكثير من عباراته وبينت وجه المخالفة بينها وبين
مناهج ابناء القرون الأولى في التعبير على ان ذلك لا يحتاج الى البيان عند

العارفين بأطوار اللغة العربية

فهذا الكتاب لا تصح الثقة به اما لانه مكذوب النسبة على الواقدي وهو الأظهر واما لضعف الواقدي نفسه في رواية المغازي كما صرح به العلماء فلا تقوم به حجة للمتحدثين ولا يصلح ذخراً للسياسيين ومثل هذا الكتاب كتب كثيرة كقصص الانبياء المنسوب لابي منصور الثعالبي وكثير من الكتب المتعلقة باحوال الآخرة او بدء العالم او بعض حقائق المخلوقات المنسوبة الى الشيخ السيوطي وقصص روايات تنسب الى كتب الاحبار او الاصمعي ومن شا كلهما ممن عرفوا بالرواية فاولع الناس بالنسبة اليهم من غير تفريق بين صحيح وباطل فجميع ذلك مما لا اعتداد به عند العلماء ولا ثقة بما يندرج فيه والعمدة في النقل التاريخي كتب الحديث كصحيح البخاري ومسلم وغيرها من الصحاح ويتلوها كتب المحققين من المؤرخين كابن الأثير والمسعودي وابن خلدون وابي القداء وامثالهم وعلى اي حال فلا يستغنى مطالع التاريخ عن قوة حاكمة يميز بها بين ما ينطبق على الواقع وما ينبو عنه . هذا ما اردنا اليوم اجماله فان دعا الى التفصيل داع عدنا اليه والله الموفق للصواب

م . ع



﴿ تنبيه ﴾

ضاق هذا الجزء عن نشر المحاوراة الرابعة من المحاورات بين المصلح والمقلد لأننا لم نر بُدًا من نشر مقالة الأستاذ لفائدتها وموعدنا بها الجزء الآتي ان شاء الله تعالى